من لويس جولدنج

ايولاندا - و - فرنشسكا

أو الحسناء والخيال

بقلم الأستاذ زكي خشبه

كانتا توأمتين ، وكانت إحداهما تشبه الأخرى في الخلق والخُلق ، ويكاد يكون لهما قلب واحد ، ولب واحد ، وأسلوب في فهم الحياة يجرى على نمط أهل الجنوب من هذه المملكة الجميلة ... إيطاليا

أما أبوهما ، الكونت دى سانت أجاتا ، فرجل محافظ نشأ في أسرة من أعرق الأسر التي تترعرع منذ أجيال مع ورود الاپنين ، والتي يعطر تاريخها مشارف الجبال الضاربة حول نابلى

وماتت أمهما وهما ما تزالان في المهد ، قبل أن يتما شهرهما السادس ، فعنى بهما أبوهما عناية كان يوزعها دائماً بينهما وبين كرومه التي ورثها عن أسلافه ، والتي كان يتمنى لو تصبح جنة من جنات بوردو[1] تجرى من تحتها أنهار من نبيذها المصفى

وانصرف الكونت إلى عمله ، وغمره ما لقى من نجاح ، فاعتزل الدنيا العريضة الواسعة ، واتخذ من كرومه منفى اختياريًا كان يشركه فيه ابنتاه الجميلتان . وهو لهذا كان ينقبض عن الناس ويعزف عن مجتمعاتهم ، ولا يبالى أن يكون شذوذاً في جبلة البحر الأبيض المتوسط ومزاجه الذى من خواصه المرح والانطلاق

ولم يكن دى سانت أجاتا يقارف من الخمر ما يخرجه عن وقاره أو ينسيه حلمه واحتشامه بل كان معتدلاً حتى في مأكله ... وكان وجدانه مشبوباً دائماً ، وكان لذلك يعيش في عالم فسيح من أحلامه الشاسعة ، تزيد في تهاويله ابنتاه الحبيبتان — إيولاندا ، وفرنشسكا — اللتان كانتا تخشيانه أكثر مما كانتا تحبانه

ولم تكن إحدى الفتاتين تعرف أنها شيء ، وأن أختها شيء آخر ، بل كانتا تحسان إحساساً عميقاً أنهما شيء واحد غير منفصل . فهما تأكلان طعاماً واحداً وتشربان شراباً واحداً ، وتتغنيان أغانى واحدة ... ولا يكاد يصيب إحداهما صداع أو نحوه إلا يصيب الأخرى مثله ، بل يبالغ العارفون فيذكرون أن الشوكة لا تكاد تصيب يد إحداهما ، وهى في أول المزرعة حتى تتأوه الأخرى من ألم في يدها وهى في آخر المزرعة

ومضت عشرون سنة فلم يحدث أن افترق الأختان مرة واحدة ، بل كانت الشمس تشرق عليهما معاً ، ثم تغرب عنهما كما أشرقت ، وكأنهما نغمة خالدة متزنة في سلّم الوجود الموسيقى

ثم أصيبت فرنشسكا بمرض في زورها أورثها آلاماً مبرحة ، فرأى أبوها أن يرسلها إلى نابلى ، عند واحد من أطبائها الجراحين ليُجرىَ لها العملية اللازمة ، وكان طبيعياً أن تصحبها إيولاندا لتسهر

(١) مدينة فرنسية تشتهر بأجود أنواع العنب وأفخر الأنبذة

عليها ، وتُعنى بها ... فما كان أعجب أن تصرخ من ألم شديد فى زورها هى الأخرى حينما كان الطبيب يُعمل مبضعه فى زور أختها ... بل كان أعجب من ذلك أن يسيل الدم من نفس المكان الذى كان ينبجس منه فى جرح فرنشسكا

تشابه فى الخلق يوشك أن يكون أسطورة ! !

بل هو أسطورة بالفعل ، أسطورة غريبة حقيقية ! ! وموضع الخرافة فى ذلك أنهما هما أيضاً كانتا لاتصدقان أنهما شخصان لكل منهما وَحدته واستقلاله ، بل كان شىء من هذا لايدور فى خلدهما مطلقاً . فليست مبالغة إذن ما رواه العارفون من أنهما حينما كانتا تتناديان لم تكونا تعرفان من منهما فرنشسكا ، ومن عسى أن تكون إيولاندا ؟ ! وفى معظم الأحيان كانتا تتبادلان الاسمين بسبب ذلك ! !

وحُمّ الفراق بين الأختين فجأة ... وذلك أن نبأ محزناً ورد من سورّنتو يقول : « إن أباهما سقط من عريش عال بينما كان يعالج واحداً من كرومه ، فكُسرت ساقه ، وأنه لا بد من وجود إيولاندا بجانبه ... » ولم ير الجراح مانعاً من الاذن لها بالسفر بعد أن طمأنها على صحة أختها ...

وكانت ليلة الوداع ليلة من ليالى الجحيم تأججت نيرانها وسط الجنة ! ! وكان عذابها مزيجاً عجيباً من اللذة المشوبة بالألم . المنضوحة بالدمع ، المُنْضَجةُ فى جمرات القلبين اليافعين المعذبين

وكانت الأشهر الأولى غراماً[1] على نفس إيولاندا ، فقد شفى أبوها ، ولكنه كان شفاء أشبه بالنزع ... ثم تأخرت عودة فرنشسكا عن أجلها المضروب أسابيع عدة حتى ثارت الشكوك فى نفس أختها عما كان يلفق لها من الأنباء عن نقهها المكذوب

ثم حدث الانقلاب الكلى فى حياة إيولاندا فقد لقيت فتى غريض الشباب ريان الإهاب فوق رُبى (أجيرولا) ، فدخلت من عينيه القويتين الساحرتين إلى دنيا باهرة زاهرة غير هذه الدنيا التى يعيش فيها الناس

لقد رنا إليها الشاب ورنت هي إليه ، فأحست فى رأسها وفى قلبها بدوار شديد كالذى يحس به راكب البحر ... ووقع كل منهما فى فؤاد صاحبه ، كأنه دنياه ، وكأنه جنة أحلامه التى ليس له سعادة فى غيرها

وكانت إيولاندا ثمرة ناضجة قد حان قطافها ، إذ سلخت من الحياة عشرين عاماً بتمامها ؛ وكانت ربيعاً كاملاً فى إبانه ، يتبرج بوروده ورياحينه ، ويعبق بشذاه فيملأ الدنيا الباسمة عطراً ، ويوقع فى آفاقها المشرقة ألحانه

وكان الشاب فى ميعة صباه وعنفوان أيامه ... قد قارب الثلاثين ... وتسلح لمغامرات الحب بالقلب الفارغ والعضل المفتول والشعور المرهف ، والنفس التى برزت من الظلمات كالفراشة ، لتعرف على هالات النّوار

وشعرت إيولاندا بشىء ينفذ فى صدرها كالسهام المحمى ، وذكرت فى هذه الغمرة المفاجئة أختها ، وشهدتها فى حلم من أحلام اليقظة مسجاة فى سريرها بالمستشفى وانية شاحبة ، فخجلت من هذا الطائف الغرامي الذى غزا قلبها ، فأشاحت بوجهها عن الشاب ، وقد اشتملت حمرة الحب فى خديها ، فتفتحا عن وردتين ناضرتين ... ثم ولت مدبرة من

(١) الغرام العذاب الشديد والشر الدائم

طريقه ، وحثت الخطا ، حتى إذا غابت عن ناظريه انطرحت فى غيضة من آس ... وأنشأت تبكى !

ولقيته بعد هذا مرة أو مرتين ، وعلقها الشاب بل جن بها ، وجعل يذرع الطريق الذى لقيها فيه لقاءه الأول عسى أن يسعده الحظ بلقياها ، وكان يترنح في ظلال الشاهبلوط ، ويستنشى الشقائق اليانعة التى تزخرف بها الطبيعة حاشية الطريق كأن قصة حبه قد سجلت فى أوراقها !

وعرف من أهل سانت أجاتا من هى حبيبته وأين يقع بيتها من كروم الكونت الواسعة ... وحثه الحب ، فلم يتورع عن أن يزور الكونت من غير ما معرفة ... ويبدو أنه كان من أهل كابرى فقد كان يحضر كل مساء إلى سورنتو على زورق من زوارق نابل ، لينشق عبير الحب فى وادى أحلامه

* * *

لقد كان إنريكو دى سارولا يعيش وحده فى فيللا أبرونال ، هذه الفيللا المنيفة الشاهقة ، النائمة فى حَيْد من أحياد أنا كابرى ، مشرفة على خضرتين مائجتين من بحار الطبيعة ، هما خضرة البحر الموهة بالفضة ، وخضرة أشجار الزيتون الموشاة بأذناب الطواويس ... وكان يحيا هناك حياة الناسك المتعبد الذى اعتزل العالم لسر غامض دفين ، لم يعرف الناس منه إلا أن الشاب قد نزغ الشيطان بينه وبين أمه العجوز الحيزبون فترك لها الدنيا تتجرع ثمالتها الشقية وحدها في قصر أجداده فى سالرنو ، ثم سافر إلى باريس يطلب الحكمة فى معاهدها فلبث هناك ستة أعوام عاد بعدها ليقيم فى فيللا أبرونال ... ولم يغادر الفيللا طوال هذه السنين إلا مرة واحدة منذ أسبوعين ، حين سافر إلى سالرنو ليدفن أمه ، وليخلص بدفنها من شجو طويل هو السر الذى لم يقف عليه أحد ؛ وليعود بعد أن حثا عليها التراب حراً لا يرى بأساً فى أن ينشق عبير الحرية من جديد .

فبينما كان سائراً فى هذا الطريق المنضور بين سالرنو وسورنتو ، التى فتاته الفينانة إيولاندا ، فجن بها ، وذهب إلى أبيها المحطم فعرفه عن نفسه ، وكأنما وافق شَنٌ طَبَقة ، كما يقولون ، فقد وجد فيه الكونت رجلاً تتفق طبائعه معه ، وتنسجم سجاياه وإياه . فلما خطب إليه إيولاندا على نفسه لم يرفض طلبه ، بل هش له وبش ، وإن يكن قد أسقط فى يده لما يعلمه من تعلق الأختين كل منهما بالأخرى ولما يدركه من استحالة فراقهما بهذا الزواج الوشيك

— إنى أبارك هذا الزواج يا بنى ، ولكن فرنشسكا ! فرنشسكا يا عزيزى إنريكو ما ذا يكون خطبها ؟ ! إنها لا تسمح لأحد أن يفصلها من إيولاندا إلا بحرب !

— أنا لا أظن أن فرنشسكا تقف فى سبيل سعادة إيولاندا ، إذا كانت تحبها حقيقة ... إن هذا لا يجمل بها أيها السيد ... إنه لا يجمل بها بحال !

— أنا معك يا إنريكو ، لكنى أعرف من أمرهما مالا تعرف ، وأحسب أن أحسن ما يجعلهما تتفقان هو أن تتزوجا كلتاهما من رجل واحد

وتضاحك الكونت حتى بدت نواجذه ، ظناً منه أنه أرسل نكتة نابغة ! وتضاحك إنريكو ، أو قل ، إنه قد تصنع الضحك ثم قال :

— بل قل إن العلة هى إيولاندا نفسها ، ولكن ، كيف ؟ إنها تحبنى كما أحبها ، وقد صرحت لى بذلك !

ولم يكذب الفتى فى الذي باح به ، فقد كانت إيولاندا تحبه حقاً ، وكان حبها له هو العاطفة الوحيدة التى دخلت بينها وبين أختها فلم تشركها فيها ، وأحست هى أنها لا تود أن تشركها فرنشسكا فيها ، وكان حبها حباً صارخاً مضطرماً يتأجج فى قلبها ، وتبدو لهبه فى عينيها ... بيد أنه كان حباً لا يعدل حبها لأختها بعد، لأن حبها لأختها كان يتدفق مع الدم فى جميع كيانها طوال هذه السنين ومن قبل أن ترى الدنيا ... وقد ساءها أن يصرح إريكو بما بينهما لأبيها ، فتجهمت فجأة ، ثم انتهرته بقولها : « أبداً ، أبداً ، إنى لا أقبل أن أتزوجك ! كيف تريدنى أن أنفصل من فرنشسكا ؟ إذهب ؟ إذهب من هنا ! لماذا أتيت إلينا ؟ »

وقد بهت إريكو ؛ لكنه تناول يد الفتاة مع ذلك ، ثم راح يقبل العبرات الحرار التى انتثرت فوقها من العينين الحبيبتين ، وقال : « روبدك يا حبيبتى ! لا ضير إذن ! سننتظر حتى تعود فرنشسكا فهى وحدها التى ستضع كل شىء موضعه ... إنها ستعود بعد أسبوع أو أسبوعين ، وإن شئت فلا بأس من أن نذهب الآن فنزورها »

فقالت إيولاندا : « كلا ، كلا ! بل أذهب أنا وتبقى أنت مع أبى ، وسأظل هناك حتى يأذن الأطباء لفرنشسكا بالعودة ، فإذا عدنا ، فلا يجب أن تبقى هنا لحظة ... »

فقال إريكو وهو يبتسم : « فإذا قالت فرنشسكا إن أسعد أيامها هو ذلك اليوم الذى ترانا فيه زوجين سعيدين ، فهل تخضعين لحكمها ؟ أما أنا فأخضع لهذا الحكم من الآن ، وأنا متأكد أيضاً أنها ستقضى بهذا ! »

وقالت إيولاندا إنها ستصدع بما تقضى فرنشسكا ثم قالت إنها ستذهب إلى نابلى بعد يومين ؛ لكنها لم تفعل ؛ فقد خرجت فرنشسكا من المستشفى ، وعادت أدراجها إلى سورّنتو بعد يوم واحد من ذلك الحديث ...

— إيولاندا ، إيولاندا ، لقد عدت أدراجى من أجلك ! من أجلك أنت ! إنى لم أطق أن أحس بك ، على هذا البعد الشاسع ، غير سعيدة يا أختاه !

— أوَقد عرفت يا فرنشسكا ؟ أوقد عرفت ؟

— إيولاندا ؟ ! كيف تسألين إن كنت قد عرفت ؟

— أيتها الشقية ؟ ! إنك ما أقبلت إلا لتزاحمينى !

— إيولاندا ؟ ! غفر الله لك ! وأقسم لك يا أختاه أننى ما قدمت إلا من أجلك ، وإنه لا مطمع لى فى شىء ... إننى أعرف أكثر مما يعرف الأطباء يا عزيزتى ... إننى أموت يا إيولاندا ... إننى أموت !

— أوه ! فرنشسكا ! فرنشسكا ! لا تقولى مثل هذا مرة أخرى ! إنك تزعجيننى ! إنك تقولين ما تقولين لأننى سمحت لنفسى بالسماع إلى هذا السّالِفَى ! لن أصغى إليه بعد اليوم يا أختاه ... سأطرده غداً ، بل الليلة ... !

— لا . لا يا أختى العزيزة ، إياك أن تفعلى ! إنكما يجب أن تتزوجا ، ولكن بعد أن أموت أنا . قولى له ليغب عن هذا المنزل يوماً أو يومين ، أو أسبوعاً أو أسبوعين ... أو ... شهراً أو شهرين ، فلن أعيش أكثر من ذلك ... ثم ليحضر بعد هذا ولتتزوجا !

— إن كنت حقاً ستموتين فإنى ميتة لا محالة !

— إذن فلن أموت ما دمت حية يا إيولاندا !

وإذا تزوجته ، فإني سأتزوجه كذلك ! أفهمت ؟

— فرنشسكا ! إنك تحطمين فؤادى !

— ياحبيبتى ! إننى لست فرنشسكا فحسب ، بل أنا إيولاندا كذلك ؛ وإنك لست إيولاندا فقط ، بل أنت فرنشسكا أيضاً !

— أجل ، أجل يا حبيبتى ! إن كلاً منا فرنشسكا وإيولاندا ، ولذا فإنك ستغفرين لى إذا أنا تزوجت من إنريكو !

— وإذا تزوجت منه ، فإنى لن أموت !

وماتت فرنشسكا بعد سبعة أسابيع ، وبعد سبعة أشهر زفت إيولاندا إلى إنريكو دى سارولا

ومىء الكونت دى سانت أجاثا بموت الأولى وزواج الأخرى لأن كلا الحادثين كان شراً عليه...

— ٢ —

ولم يكد يتغير الحال فى ڤيللا أبونال ... فقد بقيت سجناً لا باب له كما كانت ، وكأنما فتح إنريكو فى أحد جدرانها ثغرة لتدخل منها إيولاند حتى إذا دخلت سدّ الثغرة بحجارة مسومة فعاد الجدار أقوى مما كان

ولم تشعر إيولاندا بالوحشة فى هذا القصر الرهيب فهى لم تعتد الحياة الجماعية من قبل ، وقد قضت حياتها كلها في رفقة شريك واحد أو شريكين إن يكن رجل مثل أبيها شريكاً

وكانت سلواها تلك الشعاف الشاهقة تتسلقها وتهبط فى مخارمها ، وهذا البحر المصطخب تملأ عينيها وأذنيها من أمباجه وجرجراته ، فالمنظر واحد هنا وفى سورنتو... ثم هي قد أحبت زوجها ومالت إلى ما كان يأخذ به نفسه من عمل ... وقصارى القول لقد سعدت إيولاندا سعادة لم تسعدها من قبل ... سعادة استمرت عامين كاملين كانا كحلم نائم فى الفردوس ، إن كان أحد فى الفردوس ينام ، أو يغمض عينيه !

وفى خلال هذين العامين ، لم تزر إيولاندا أباها إلا مرة واحدة ، بعد أشهر من زفافها ... وكان أبوها قد عوفى مما حاق بساقه ، وفرغ لكرومه التى كان يود لو تصير جنة من جنات بوردو

ثم تغير الحال فجأة ... فقد لاحظ إنريكو أن زوجته تلحف فى زيارة أبيها حتى لا يكون بين الزيارة والأخرى غير أسبوعين ؛ ومع بعد الطريق الذى يقطعه الزورق فى ساعات ذهاباً وجيئة فإنها كانت تعود في نفس اليوم الذى كانت تمضى فيه ، أى أنها لم تكن تمكث عند أبيها إلا ساعة أو ساعتين

وقد يُظن فى سبب ذلك ظنون شتى ، إلا أن الوالد الذى تقدمت به السن كان يستأهل من وحيدته كل تلك الزيارات

ولم يكن إنريكو يُعنى بأن يصحب زوجته إلى سيف البحر ، أو أن يذهب إليه للقائها حين عودتها ، لأنه كان يمقت هذه القرية أنا كابرى ، بقدر ما كان يمقت القرية المقابلة كابرى ، ولم يكن يود أن يرى أحد من أهلهما . ثم هو كان إلى ذلك محباً للڤيللا أبونال ، فكان لا يبرحها أبداً ، وكان يعدها الدنيا التى لا يمكن الخروج منها ، لأن كل ما عداها كان فى رأيه يباباً لا خير فيه

ومضت سنة ثالثة على هذا الحال لم تكن أقل سعادة من السنتين الأوليين ولا أقل بهجة ... بل كانت السنوات الثلاث تعدل بمباهجها إيناس مائة سنة ، وإن لم تعدل بطولها يوماً واحداً وليلة

وبينا كان إريكو مكباً على كتبه فى مكتبه إذا صداع شديد يضطرم فى رأسه فيصرفه عن القراءة ويحسب أن هواء الحديقة ينفعه فيمضى إليها ، ويضطرب فيها ... لكنه يزداد ألماً ، ثم يحس فى صميمه بضيق شديد ، ويشعر بكمد يجثم على روحه لا يعرف مصدره فيفتح باب الحديقة ، وينطلق فى الطريق الموحش الشاحب المؤدي إلى كابرى

ويذكر إيولاندا ، فيؤلمه ألا تكون بجانبه تواسيه وتسليه ، وتمسح الضيق عن فؤاده

وكانت إيولاندا إذ ذاك تزور أباها ، فتحتلك نفس إريكو بأفكار سوداء قاتمة ، وينتبه إلى تعدد هذه الزيارات وكثرتها فيؤوّلها

ثم يمضى فى طريقه حتى يكون عند حدود يشرف منه على المرفأ فيقف ، ويكون الزورق الكبير القادم من سورّنتو قد ألقى مراسيه ، وقد أخذ القادمون وأكثرهم من النساء ، ينزلون فى زوارق صغيرة توصلهم إلى البر ... وأرسى الزورق الأول ، ولكن إيولاندا لم تكن من راكبيه .. ثم أرسى الثانى ... ولكنها لم تنزل كذلك ... ثم أرسى الثالث فالرابع ... حتى لم يبق فى الزورق الكبير أحد ... يا عجبا ! لم لم تعد إيولاندا يا ترى ؟ !

وانتصب إريكو فوق تؤى الشاطىء ، وراح يحملق هنا ويحملق هناك ... وقد أخذت مطارق الصداع تدوّى فى رأسه بشدة وعنف ... ثم خطا خطوات فكان فى المرفأ ، وبدا له أن يسائل الناس لم لم تعد زوجه فيمن عاد إلى كابرى من سورنتو !

ثم ثارت في خاطره فكرة منعكسة ! ذلك أنه ظن أنها ربما تكون قد نزلت من أحد الزوارق الصغيرة إلى البر لكنه لم يرها ، فصعّد فجأة فوق الحدور إلى الصخرة المشرفة على المرفأ ، وراح يبحث بناظريه المتعبين فى الطريق ... فلم ير شيئاً ...

والحق ، لقد كانت الظلمات تتدجى فى عينى إريكو لما استولى عليه من الدهش ، ولما كان يقاسيه من التعب ... فقد صعدت إيولاندا من الزورق ، وهى الآن فى طريقها إلى الفيلا ، بل هي قد وصلت إليها ، وهى الآن تنتظره قلقة ساهمة ... أما هو ، فها هو ذا فوق الصخرة يضرب أخماساً لأسداس ، لا يدرى لم لم تعد إيولاندا « ... أين هى إذن ؟ ومن يدرى ، فقد تكون لم تذهب إلى سورّنتو أبداً ، وإذا لم تكن قد ذهبت فأين تكون يا ترى ؟ ومع من تجلس الآن ؟ أوه ! أتكون الآن فى حضن جسد المسيح ؟ ! »

وهتف السيرين (منادى السفينة) : « ألا من هو ذاهب إلى سورّنتو فليتفضل ... ألا من يريد الأوبة إلى سورّنتو فليتفضل ! »

وكان الظلام قد أوشك يرخى سدوله على البر والبحر ، وأخذت القوارب تنقل المسافرين إلى الزورق الكبير ، ووقف إريكو يحدق ويحملق فى كل الراحلين ... حتى إذا لم يبق إلا القارب الأخير شعر كأن سكيناً تشق حشاشته وتستقر فى قلبه .. ذلك أنه رأى إيولاندا تتهادى فى رشاقة وظرف متجهة نحو القارب وها هى ذي تثبت فتكون فيه

« إنها هى ... هى إيولاندا من غير ما شك زوجتى ... حبيبتى إيولاندا ... أين هى ذاهبة يا ربى ؟ ... إنها لم تذهب قبل اليوم إلى سورّنتو ليلا ، وإذا كانت هى ، فأين كانت طوال هذا النهار يا ترى لقد خرجت صباح هذا اليوم لتذهب إلى سورنتو ، فأين قضت نهارها كله إذن ؟ أوه ! إن فى الأمر

سراً رهيباً ... إيولاندا ! إيولاندا ! تعالى ! هأنذا إريكو ! إرجعى ! ... »

لكنها لم تلتفت إليه ؛

بل نظرت إلى السماء نظرات كنظرات الملائكة ثم رف النسيم فداعب عقارب صدغيها ... وجلست هادئة ساكنة ... ولم تتكلم

وهرول إريكو نحو المرفأ ، وجعل يهتف ويهتف ... لكنها لم تنبس ، ولم تلتفت إليه ... وأخذ القارب يبتعد ويبتعد ، حتى كان عند الزورق الكبير ، فوثبت إيولاندا فيه وأخذت مكانها ، صامتة كالطيف ... ساكنة كالليل ... غامضة كالروح ...

وقبل أن يتحرك الزورق هبت إيولاندا واقفة ، وولت وجهها شطر الشاطىء حيث وقف إريكو ، وجعلت ترنو إليه :

« إيولاندا ... إيولاندا ! »

وابتعد الزورق ... ولم ترد إيولاندا ... فانهمرت الدموع من عينى إريكو

— ٣ —

ثم ثاب إلى رشده ، وصحا مما كان فيه ، وودع البحر بنظرة حزينة ، وضرب فى الطريق إلى أنا كابرى ، فبلغ الفيلا بعد مسرى طويل خيل إليه أنه بلغ به أميالا وأميالا ... ولمحته الكلاب فلم تتحرك ولم تبصبص كدأبها حينما كانت تراه ، بل ظلت ساكنة هادئة كأنما تنظر إلى شبح يتدهدى فى الظلام

وكان البيت من وراء يضرب فى ديجور دامس ، يزيد البحر فى روعته ، وكان كل شىء هادئاً ، والريح توسوس فى سكون فى أغصان الدوح وأفنان الشجر ، فلما عرج إريكو لِيلج فى القصر ، لمح ضوءاً خافتاً ينبعث من غرفة الجلوس ... فدهش أول الأمر ، ثم زال دهشه حينما علل وجود الضوء هناك باجتماع الخدم ليعبثوا ساعة فى غيبة السادة أصحاب الفيلا

وفتح باب الغرفة فى سكون ودخل ...

يا لله ! ! من هذه السيدة النائمة فى الكرسى الفاخر قريباً من المصباح ، يكاد يقر رأسها فى حضنها ؟ !

أوه ! ! إنها إيولاندا ! !

— إيولاندا ، إيولاندا ! !

ولكن إيولاندا لم تتحرك ، بل ظلت غارقة فى سُباتها تتنفس فى بطء

وأحس إريكو بنصف جسمه الأعلى يلف ويصيبه الدوار ، وبالنصف الأسفل يبرد ، ويقف دمه ، ويتحول إلى ساقين من ثلج

— إيولاندا ... أبداً ، أبداً ، لا يمكن أن تكونى هنا ...

لكنها لم تتحرك ، بل ظلت نائمة حالمة ، وضوء المصباح ينعكس على جبينها الجميل الباهت ، وأهدابها الطويلة الساحرة مُنَشّرة ظلالها فوق خديها !

— إيولاندا ! ! أبداً ... لست إيولاندا ! لقد رأيتك تركبين فى القارب وتنزلين منه فى الزورق ... أنت ... لا أحد غيرك ... أنت لست إيولاندا أبداً ...

ولم تسمعه إيولاندا ، ووقف تلقاءها ساهماً واجماً ، وقد انتشرت ضبابة كثيفة من اللاوعى أمام عينيه ، وبدأت غيبوبة عجيبة تستولى على

مشاعره ، وأخذ رأسه يتفصّد عن عرق بارد كأنه ينبع من مستنقع ، وكلما نزت منه قطرة جمدت واستحالت إلى حَبّةٍ من بَرَد ! !

ثم رفعت رأسها ببطء آخر الأمر ؛ وفتحت عينيها الواهيتين ، وجعلت تنظر فى غير جهة معينة وبغير وعى ولا شعور

ومرت لحظة بعد أخرى ، وظلت نظراتها غامضة زائغة ، كأنها لا تقع على نفس الأشياء التى تقع عليها نظرات إنريكو ... محفظة الكتب المسندة على الحائط ، والمنضدة ، والطاس البرونزى العامر بالأزهار

ثم نظرت إليه واستطاعت أن تتبينه

وكانت نظراتها هذه المرة نظرات العارف الواثق ، الذى يرنو إلى شىء حبيب يود أن يملأ به قلبه

ووثبت من كرسيها فجأة وأخذت تصيح : « إنريكو ! إنريكو ! أين كنت طوال اليوم يا حبيبى ! ؟ أين كنت لقد تنظرتك طويلاً ، فهل حدث شىء ؟ لِمَ لم تخبر الخدم أنك ذاهب خارج المنزل ؟ »

ووقف إنريكو جامداً كالتمثال ، وقد طاف سرب من الهواجس فى قلبه ، وأخذ يفكر فى المتناقضات التى حاول القدر الساخر أن يتغفله بها... فلقد وثق وثوقاً تاماً أنها لم تذهب إلى سورنتو فى زورق الصباح ، لأنها لم تعد فى زورق المساء ... بل حصل العكس ، إذ شهدها بكلتا عينيه تسافر إلى سورنتو فى زورق المساء ! وليس محتملاً أن يتسرب الشك إلى ما حدث وتحققه هو بنفسه ... لقد رأى إيولاندا تركب القارب ، وتنتقل من القارب إلى الزورق ، ويهم الزورق ويحتويه الماء إلى سورنتو ... فكيف عادت إذن إلى هذه الغرفة قبل أن يعود هو ؟ وما هذا الذى يسمع ؟ : « أين كنت ، ولم خرجت دون أن تخبر الخدم ؟ » وما هاتان العينان النجلاوان الجميلتان البريئتان اللتان تنفذان فيه فى طهر وسذاجة؟ هل هذه إيولاندا حقاً ؟ وإن لم تكن هِيَهْ ، فمن تكون ياترى ؟ ... ولكن ما هذا السؤال وها هى ذي إيولاندا الجميلة المشوقة الهيفاء ، وها هو ذا ثغرها الدقيق ، وها هو ذا صوتها الموسيقى الساحر ، وهاهى ذى نظراتها النافذة .. وهاهوذا كل شىء يضحك ويقول أنا إيولاندا ؟ !

لقد أوشك المسكين أن يجن ... وعاد الصداع إلى رأسه المختلط كما يعود الوحش الهائل زائراً مزمجراً إلى كهفه السحيق ... وانعقد لسانه فلم ينبس بكلمة ... وأشاح بوجهه عنها فقالت له : « إنريكو ما ذا بك ؟ هل تشكو من شىء يا حبيبى ؟ إنك غير عابس ، أليس كذلك ؟ أأنت مريض ؟ »

فقال لها وهو منتفض من الحمى : « لا ، لا إنه صداع بسيط ، لا تكلمينى أرجوك . هلمى بنا إلى الفراش »

وأحست بما يأكل قلبه من ضغن لم تعرفه فيه من قبل إلا مرة أو مرتين لم يبلغا شيئاً من أمره الآن ، فقالت فى صوت حزين :

— « إى يا حبيبي ... هلم بنا ... إنى آتية ! »

* * *

ولم يفه بكلمة وهو ينضو ثيابه ، وكانت أصابعه ترتجف فوق أزراره ضعيفة موهونة وانية ، وسبقته إلى الفراش فتطرحت على ظهرها وأسندت رأسها على الحشية ، وراحت تبحث بعينيها فى سقف الغرفة وقد هرب الدم من وجهها الرائع الشاحب

لم تتحرك إيولاندا ... لم تولِه ظهرها حتى لاتثير

غضبه ، ولم تولِه وجهها حتى لا يظن أنها تحاول إغراءه عما فى نفسه ... وكان مرآها هكذا يثير الحنان ويثير الشجون ويثير كل العواطف العلوية فى أقسى القلوب وأشدها شماسا

ثم شعر فجأة بضميره يحزه ويؤنبه ، فقال لها : « أحسب أنها غلطة يا إيولاندا ... غلطة مجردة ... فأنا آسف جداً : »

فأجابته ، وفي نفسها لهفة شديدة : « أجل . أجل يا إنريكو ... إنها غلطة »

فتراجع إنريكو مشدوهاً وقال : « أى غلطة ؟ كيف عرفت أن هناك غلطة ؟ ! تكلمى ! خبرينى إني أعتبر ذلك اعترافاً بكل ما حدث اليوم »

فقالت له : ولكن يا حبيبى ... لقد قلت هذا فقلته معك ...

فقال : هل حقيقة قلت ذلك ؟ ربما ! لأسلّم أنني مغفل ! بل إنى أومن أننى مغفل ... تنحى ... إفسحى لى مكاناً ! أنا آسف يا إيولاندا

وتنحت قليلاً فانطرح جانبها وقال : قبليني يا إيولاندا ! لماذا لا تقبلينني ؟

فقالت : لأنك ... لأنك ...

فقال لها بلهجة الآمر : لا . لا . قبليني !

وانحنت تقبل شفتيه المرتعشتين ، فما كادت تمسهما بشفتيها الذابلتين حتى شم فيهما رائحة غريبة لم يكن له بها عهد من قبل ... رائحة رطبة كرائحة أزهار النيلوفر[1] التى تنمو عادة في المياه الآسنة ... وكانت شفتاها باردتين مُثلجتين ، فسرت منهما رجفة فى جسمه ، وقشعريرة زلزلته زلزالاً

— ماذا بك يا حبيبي ... ماذا بك ؟

— لا شيء ... صداع خفيف

— هل ... ؟ ...

— لا ... ليس الليلة ... هلمى نم يا إيولاندا ... عمى مساء !

— عم مساء يا حبيبى ...

وانطبقت أهدابها كما تغمض الزهرة الذابلة الوسنانة ، وبدت لأنريكو فتنة فى فتنة ، وجمالاً نائماً معه فى سرير واحد ، لا يمكن أن يكون من هذا الجمال الفانى الذى تتلىء به دار الغرور

إنه جمال سرمدى كجمال الملائكة ... نور على نور

أبداً لم تكن إيولاندا هكذا أبداً ...

* * *

وهكذا لم يغمض له طرف ، وكيف ينام من هو فى مثل حيرته ، ومن يضطرب خاطره بمثل وسواسه ؟ ! كيف تكون هذه النائمة بجانبه إيولاندا ، وقد رأى إيولاندا تركب القارب إلى الزورق ، ثم تركب الزورق فيهم بها ، ويبتعد في جوفى البحر والليل أميالا ، وهو واقف يشهد ، وقد وقفت إيولاندا كالطيف ترنو إليه ولا تتكلم !

المعقول ألا تكون هذه إيولاندا ... والمعقول أن تكون إيولاندا الآن فى سورّنتو ... أو فى نابلى ... فإذا لم تكن هذه إيولاندا ، فماذا إذن ؟ لم ذهبت إيولاندا إلى نابلى إن لم تكن قد ذهبت إلى سورّنتو ؟

ولكن هذه النائمة هنا من تكون إن لم تكن إيولاندا ؟

ألا يعرف الإنسان زوجته التى عاشرها ثلاث سنين ؟ هل معقول ألا تكون هذه إيولاندا ؟ حقاً إنها جميلة جداً هذه الليلة ، وإن لها لجمالاً ليس يمكن

(١) النيلوفر (اللوتس)

أن يكون من جمال هـذا العالم الفاني ... لـكنها كانت جميلة هكذا فى جميع الأحيان ... ولا تناقض فى أن يكون جمالها الليلة أكثر نورانية !

اشتدت الآلام فى شق إريكو الأيسر ، وأخذ التبريح ينبض مع القلب فى كيانه ... ولم يفتأ يسأل نفسه أيهما إيولاندا زوجته التى ركبت البحر إلى سورّنتو ... أم هذه النائمة معه فى سرير واحد ، ذات الأنامل الفضة اللينة التى تكاد تنعقد ؟ !

وتحركت إيولاندا حركة فتعرت كتفها العاجية الجميلة المفتان ...

وكأنما أثار مرأى الكتف الشيطان الساكن بين جنبي إريكو ، فمد يده القوية الجبارة وأمسك اللحم الأبيض الخصيب فى عنف شديد وصاح قائلاً :

« ألا من أنت ... ؟ قولى ! تكلمى ! من أنت؟ من أنت ؟ ! »

ففزعت من نومها وأخذت تصيح :

— إريكو ! إريكو ! دع كتفى ! إن يدك القاسية تؤلمنى

فقال لها : بل قولى مَن أنتِ ... من أنت تكلمى ! من أنت ؟

فقالت له : إريكو ! ماذا أصابك ؟ أمجنون أنت؟ دع كتفى واتركنى أنام !

فقال لها وهو ثائر كالمحموم : كيف أتيت إلى هنا وقد رأيتك تركبين الزورق ؟

فقالت له : لم أكن أنا التى رأيتها ! إنها واحدة سواى !

فقال : واحدة سواك ! عجيب جداً ماذا تعنين ؟

فقالت : أعنى أنك أخطأت ... لقد غمّ عليك يا إريكو !

فقال : وما هذا التعبير الغريب الذى عبرت به « إنها واحدة سواى ! » فمن هى ؟

فقالت : لا أعلم !

فقال لها : « كيف لا تعلمين ؟ إذن فمن أنت ؟ أريد أن أعرف من أنت ؟ ثم تناول المصباح القريب وأدناه من وجهها ، وراح يحدق ببصره فيه ثم قال : ولـكنك إيولاندا ؟ ! كيف أتيت إلى هنا ؟ حقاً إنك إيولاندا !

فقالت له : حقاً أنا إيولاندا ... وها أنت ذا ترى !

فقال لها : لـكنى رأيتك تركبين الزورق إلى سورنتو هذا المساء ، فكيف عدت ؟

فقالت له : إريكو ! ما هـذا الذي أصابك ؟ دعنى أنام ياحبيبى ! إنه صداعك الذى يقلب رأسك نم نم ! ستعافى فى الصباح !

ثم مدت ذراعيها وتثاءبت ، وأنشأت تقول : إنى متعبة يا إريكو فدعنى أنم ... لقـد تنظرتك طويلا قبل أن تعود !

وكأنما لمح شيئاً غريباً في فمها لم يعرفه من قبل فصاح بها : « إفتحى فمك ودعينى أنظر إليه ! » فتبسمت وقالت : « ولِـمَه ؟ ! » ثم فتحت فمها الجميل فبدت ثناياها المؤشرة العذاب ، وراح إريكو يحملق فيهن ويحدق ، كما يحدق العالم فى أنبوبة اختبار تحوى كشفاً من كشوف العلم

آه ! يا للا كتشاف العجيب ! لقد لمح إريكو فَلَجاً بين الثَّنِيَّتين[1] العلويتين لم يكن بين ثنيتى إيولاندا مثله ...

لـكنه يذكر أنه رأى مرة فتاة جميلة تشبه إيولاندا ، كان لها هذا الفلج الرائع بين ثناياها العليا

(١) الفلج تباعد بين الأسنان والثنايا هى الأسنان

ترى من تكون هذه الفتاة ... ؟

أوه ! لقد تذكر إنريكو ! إنها فرنشسكا من غير ما شك !

إن ثنايا هذه المرأة النائمة معه فى السرير هى ثنايا فرنشسكا .. ذلك حق لا ريب فيه .. فرنشسكا الميتة ... التى دفنوها فى سورنتو منذ ثلاث سنوات وليست ثنايا إيولاندا ... إيولاندا الحية ... ولا بد أن تكون هذه هى فرنشسكا أيضاً ... هذه المرأة الجميلة النائمة فى سريره ... لأن إيولاندا قد ركبت الزورق إلى سورنتو ، وهو لا يستطيع أن يكذب عينيه ...

إذن ؛ لقد اجتمعت لإنريكو آيتان فى هذه المرأة النائمة فى سريره ! كما اجتمعت له آية ثالثة ، تلك التى رآها عند المرفأ ، وإيولاندا تركب البحر !

أما الآية الأولى فهذه الرائحة العجيبة الآسنة التى عبقت بها شفتاها وهى تقبله ، ثم هذه القشعريرة التى انتشرت منهما في جسمه فزلزلته ... لقد كانت رائحة كرائحة المقابر لا تكون إلا للنيلوفر الذى ينمو فى الماء الراكد ...

وأما الآية الثانية فهذا الفلج فى ثناياها .. الذى لم يكن فى ثنايا إيولاندا شىء منه ، والذى كان الفارق الوحيد بين إيولاندا وفرنشسكا ، حتى كان أبوهما لا يميزهما إلا به !

وانزعج إنريكو ... وامتلأت خياشيمه بسهك[1] كريه لا يكون إلا فى ريح المقابر ... ثم انتفضت جلدة رأسه وانتصب شعر فَرْوتها فصار كالأبر وصاح كالمجنون الذى التاث عقله وضاع صوابه :

« أخرجى ! أخرجى من هنا ! أخرجى ... أخرجى ... أخرجى ! »

ولم يستطع أن يقول غير هذا ... أخرجى ، أخرجى ، أخرجى !

فانتفضت إيولاندا مذعورة تقول : « إنريكو ... إنريكو ... ماذا أصابك ؟ ! لماذا تصيح فيّ هكذا ؟ ! إهدأ يا حبيبى !

فقال لها : « أهدأ ؟ وكيف ؟ خبرينى من أنت أولا ! »

فقالت : « من أنا ؟ أنا إيولاندا !

فقال : كلا ! لست إيولاندا ، لقد رأيت إيولاندا يذهب بها الزورق إلى سورنتو ... لست إيولاندا أبداً

وتنفست تنفسة عميقة ، ثم أرسلت زفرة حارة ظن أنها تسكت نائمتها من بعدها ... ثم انتثرت أناملها فوق الملاءة البيضاء الحريرية كأوراق الورد الذاوية ... وقالت : « بل أنا إيولاندا ! »

وكانت تقولها ، وكأن الصوت يتردد في أذنيْ إنريكو من عالم بعيد قصى ... من عالم غير هذا العالم ... من الآخرة ... ثم قالت :

— « أجل ... أنا إيولاندا ! والفتاة الأخرى التى شهدتها هى إيولاندا أيضاً ... وكل منا إيولاندا . هى إيولاندا ، وأنا أيضاً إيولاندا ، هى مثلى وأنا ... مثلها تماماً ... »

فقال مذعوراً : « إذن أنت فرنشسكا ! ... لا ، لا ... ليس هذا حقاً ... أرجوك ... قولى إنك لست فرنشسكا ! قولى إنك لست فرنشسكا !

وهنا ... حملقت فيه بعينيها البريئتين الجميلتين وقالت له :

— بل أنا فرنشسكا .. وهي أيضاً فرنشسكا ..

(١) السهك محركة ريح اللحم المنتن

الفتاة التى رأيتها تركب في الزورق إلى سورّنتو ! »

فاشتد ذعره وقال :

— إنك ميّتة ! أنت شبح ! أنت روح شريرة !

فتبسمت محزونة وسكبت دموعها وهى تقول :

— « إنها لا تستطيع الحياة بدونى ... وأنا لا أستطيع الحياة هناك .. هناك ! هل تعرف ..؟ .. في الدار الآخرة ... إلا إذا كانت إيولاندا معى ! ولهذا فهى تزورنى هناك فى الفينة بعد الفينة ، وأنا أيضاً ... أزورها هنا ! »

فقال إنريكو : إذن فما شأنى أنا ؟ ! ثم هى ؟ ألم يكن أحجى بك أن تتركيها وشأنها ... إيولاندا التى أحبتك أكثر من كل شىء ؟ !

فقالت : لقد حاولنا ذلك فلم نستطع إليه من سبيل ... لقد تحققنا أننا لا نحيا إلا معاً ولا نموت إلا معاً ! وأننا لا يمكن أن نحيا أو أن نموت مفترقتين ! وأنه لمعالجة ذلك وجب أن نقتسم الموت والحياة على السواء !

وعند ذلك أنّ إنريكو وبكى ، وخبأ عينيه بيديه وراح يسكب دموعه ويقول : « آه ياحبيبتى إيولاندا ! آه يا عزيزتى ... تعالى يا إيولاندا ! » وكأنه ينشج نشيجاً مؤلماً ، ويدوّى بصوته المبلل بالعبرات فى سكون الليل ...

ثم سكت فجأة ، والتفت إلى الفتاة النائمة فى سريره طيفاً روحانياً بلا مادة وأنشأ يقول :

— ولكن لا ... إنها كريهة ممقوتة مثلك ... لقد خدعتنى طوال هذه السنوات الثلاث كما أنك خدعتنى ... لقد تسببت لى فى الكارثة العظمى التى حاقت بقلبى ورانت على نفسى وثلمت شرفى ! إنكم شياطين يا آل دى سانت أجاتا ! إنكم شياطين ! هيا ... هيا ... إلى الجحيم التى أقبلتما منها ! »

ثم مد ذراعيه الجبارتين وقلص أصابعه ، وأخذ يقترب من عنقها ويقترب ... لكنها تبسمت فى غير ذعر ولا خوف ، وقالت له :

— أوه أيها المسكين ! مكانك ! إنك لا تستطيع أن تلحق بى أذى ! إنما النائمة فى سريرك هذا طيف . طيف ! أسمعت ؟ ! خيال ! أتستطيع أن تخنق الطيف ؟

وفتت كلماتها فى عضده فتهاوت ذراعاه ، وتهافت هو فوق الكرسى الذى كانت نائمة فوقه من قبل هذا .. ثم دفن وجهه فى راحتيه ، وجعل يتأرجح من ناحية إلى ناحية ذات اليمين وذات الشمال لحظة تلو أخرى ... ثم راح يكلم نفسه :

— « ماذا أصنع يا ربى ؟ ! ماذا عساى أصنع ؟ من يدرينى ؟ من يهدينى ؟ من يعيننى فى هذه الوحدة القاسية ! من نصيرى يارب ! ... »

ثم وقفت الكلمات فوق شفتيه كالأشباح ... ونهض إلى مشجبه ، وأخذ يرتدى ملابسه كما يرتدى ملابسه رجل ذاهب إلى المشنقة لينفذ فيه حكم بالإعدام !

— إنريكو ! ماذا أنت صانع ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟ !

— إنى ذاهب إلى سورّنتو ! ينبغى أن أعرض الأمر على الكونت دى سانت آجاتا !

— إنريكو ! أرجوك ! أتوسّل إليك ! من أجل إيولاندا الحبيبة لا من أجلى ! من أجل أبى الضعيف ! لا تذهب !

— بل ليس بد من الذهاب ! كيف يحتمل واحد من بنى الموتى كل هذا ؟ !

— أرجوك ألا تذهب ! إنه لا جدوى من ذهابك ! بل بالعكس ، فذهابك يقتل أبى المريض الذى يمشى دراكا إلى القبر ، ويطرق بابه بكلتا يديه !

— إن شئت فتعالى معى !

— هذا لا يمكن ... إن هذا يكسر قلبه ويحطم روحه !

— كان الأول أن تفكرى فى ذلك من قبل !

— أرجوك ألا تذهب ... أرجوك

— صه ! أيتها الهولة ! [1] ياسعلاة جهنم ! [2] أسكتى ! من دعاك إلى هنا ؟ !

— إذن أنت مصمم على الذهاب إلى سورنتو !

— طبعاً ، فى زورق الصباح !

— إذن ستلقى إيولاندا حين تنزل إلى البر !

— لا إيولاندا بعد اليوم !

وصمتت فرنشسكا ... فلما فرغ إزيكو من لبس ثيابه قالت له :

— هل تعنى ما تقول يا إزيكو ؟ !

— أجل ... لا إيولاندا بعد اليوم ... إنها ميتة مثلك

ثم أردف وهو ينفتل من الباب : « إذهبي إلى العالم الجدير بك ! »

— ٤ —

ورأى إيولاندا وهى تنزل من الزورق إلى البر لكنها لم تره ! واختبأ حتى تمر .. وغابت عن الأنظار ثم تركت الطريق المؤدى إلى أنا كابرى ، وسلكت السبيل الآخر المحفوف على جانبيه بشقائق النعمان ... المؤدى إلى القيلا من جهة البحر ... والذى كانت تلتقى فيه بطيف أختها ليتم اتحادهما قبل أن تذهبا إما إلى إزيكو ، وإما إلى سورنتو !

وهناك ... كانت تنتظرها فرنشسكا !

وبعد أن أخذت يديها الدافئتين فى يديها الثلجيتين ، قالت لها :

— هذه آخر مرة نلتقى فيها ههنا يا إيولاندا ؟

— أختاه ! لا تقولى هذا يا فرنشسكا ! مالك شاحبة هكذا ؟ إن فى نظراتك شيئاً غريباً لا أفهمه

— لقد عرف يا إيولاندا ؟ !

— عرف ... ؟ ... أبداً ... هذا لا يمكن ... هذا غير صحيح يا أختى !

— بل ... صحيح يا عزيزتى !

— أرجوك يا فرنشسكا ! قولى إنه غير صحيح ! أتوسل إليك !

— بل هو صحيح ... إنه الحق لا ريب فيه !

وصمتت إيولاندا ... وراحت تبحث بعينيها فى السماء ... وفى البحر ... وفى شقائق النعمان ... وفى الدوح ؛ ثم قالت فى صوت ضعيف وان :

— وماذا نصنع إذن ؟ !

— لا شىء ... إلا أن نذهب معاً الآن يا إيولاندا

— أنا وأنت يا فرنشسكا ؟ !

— وهل تؤثرين البقاء وحدك فى هذا العالم يا إيولاندا ؟ !

— وهل أترك إزيكو وحده يا أختاه !

— إنه لا إزيكو بعد اليوم !

— إذن ... نذهب معاً ... لن أتركك يا فرنشسكا

---

(١) الهولة Harpy من مخلوقات الأساطير نصفها حيوان ونصفها إنسان (امرأة)

(٢) Hell - hag

— لنذهب الآن !

— ولكن ... ألا نبقى قليلاً ؟ لحظات ..

— نبقى لماذا ؟ ! إننا لم تعد لنا فى هذه الدنيا لُبَانة !

— وهل نمضى بالطريق الوعر من تحت الصخرة؟

— أجل ... إن زورق النور ينتظرنا ...

— حيث سمدنا معاً أياماً طويلة وأعواماً !

— أجل يا أختاه !

— هلمى ... لنذهب الآن !

— هذا خير ... يجب ألا نبق فى هذه الدنيا الكريهة المظلمة أكثر من ذلك !

* * *

ثم هبطنا إلى الشاطئ ، ونزلنا فى الزورق ، ورفعنا مراسيه

— كونى أنت عند السكان[1] يا إيولاندا ، فانه يبدو عليك أنك متعبة ... وسأعمل أنا فى المجاديف

— حسناً يا أختاه ! عليك أنت بالمجاديف ...

واتجه الزورق نحو المغرب ... متوائباً فوق الثبج ... متأرجحاً فوق الموج

وذبلت أفنان الدوح فوق الشاطئ الباكى

وذوت شقائق النعمان فوق الصخور الحزينة

وليس فى الوجود إلا ماء وسماء ...

وكل هذا من أجل الأختين الحبيبتين

اللتين لم تعودا قط من رحلتهما إلى المغرب !

ودنى مُشبة

(١) الدفة

كل ثوب مصرى علم من أعلام الحرية

تغزلها وتنسجها لنا

شركة مصر للغزل والنسج

وتبيعها جميلة متينة رخيصة

أطلبوا منتجاتها من

تجار المانيفاتورة بالقطر المصرى